مجلة المرابط

العدد : ٢٠٨ الموافق في ذو الحجة ١٤١٩ هجري ٤ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : الحب في الله والمعاداة في الله	بقلم : متولي موسى

أصل الولاء : الحب ، ومن لوازمه الطاعة والنصرة والمعاونة .

وأصل المعاداة : البغض ، ومن لوازمها إعلان العداء وجهاد الأعداء عند مشروعيته .

والولي : صفة يتصف بها الفاعل والمفعول لأجله ، فتقول : تولاه : أي اتخذه ولياً . ويكون الفاعل هو : المحب ، التابع ، النصير ، المنعم عليه .

ويكون المفعول لأجله هو : الرب ، المنعم ، المطاع ، الناصر .

وبهذا المعنى لا يصرف الولاء إلا لله تعالى وفيه ، ويكون العداء لكل من ينازع الله تعالى الألوهية ، وهذا هو مقتضى كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " أي لا معبود حق إلا الله تعالى . وقد جاءت النصوص في القرآن والسنة تؤكد هذه الحقيقة ، أذكر منها هنا مايلي : { **الله ولي الذين آمنوا يخرجوهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** } [البقرة : ٢٥٧] . { **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم** } [النحل : ٦٣] .

عن جرير أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : " إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى " قالوا : يارسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور ؛ لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس " وقرأ هذه الآية : { **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** } [يونس : ٦٢] (صحيح سنن ابي داود)

ولقد حذر الشارع الحكيم من مولاة الكفار بصفة عامة ، فقال تعالى :{ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** } [النساء ١٤٤]

{ **الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً** } [النساء : ١٣٩] { **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء** } [المائدة : ٥٧] { **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** } [الممتحنة :

٩] .كما نهى الله عز وجل عن مولاة أقرب الأقربين إن استحبوا الكفر على الإيمان فقال سبحانه وتعالى : { **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان** } [التوبة : ٢٣] . وتقرر بأنه " ليس للمسلمين أن يولوا الكافرين أو يستعينوا بهم على أعدائهم فإنهم من الأعداء ولا تؤمن غائلتهم . وقد حرم الله موالاتهم ونهى عن اتخاذهم بطانة ، وحكم على من تولاهم بأنه منهم ، وأخبر أن الجميع من الظالمين ..فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك وسنة نبيك عليه الصلاة والسلام كيف يحاربان مولاة الكفار والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده وأرحم بهم من أنفسهم ، فلو كان في اتخاذ الكفار أولياء من العرب أو غيرهم والاستعانة بهم مصلحة راجحة لأذن الله فيه وأباحه لعباده ، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى والعواقب الوخيمة نهى عنه وذمّ من يفعله ، وأخبر في آيات أخرى أن طاعة الكفار وخروجهم في جيش المسلمين يضرهم ولا يزيدهم ذلك إلا خبالا ، كما قال تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** }[ال عمران: ١٤٠ - ١٥٠] وقال تعالى : { **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين** } [التوبة : ٤٧] . فكفى بهذه الآيات تحذيراً من طاعة الكفار والاستعانة بهم ، وتنفيراً منهم ، وإيضاحاً لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة ، عافى الله المسلمين من ذلك " (نقد القومية ، عبد العزيز بن باز ، ص : ٣٠-٣٣)

ولما كان أصل المعاداة هو البغض ، ومن لوازمه إعلان العداء ، وقتال الأعداء عند مشروعيته ، وجب على كل مسلم أن يبغض الشرك والكفر ، أما إعلان العداء والقتال عند مشروعيته فليس ذلك لآحاد المسلمين ، وإنما هو عمل الدولة والإمام المسلم بعد صدور فتوى العلماء وإعمال الشورى . هذا مع العلم بأن البغض القلبي لأي إنسان لا يمنع من معاملته بالعدل والإحسان ، قال تعالى : { **ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا** } [المائدة : ٢] وقال سبحانه { **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** } [المائدة : ٨] وقال عز وجل : { **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** } [الممتحنة : ٨]

ونخلص مما سبق إلى الآتي :

المؤمن الصادق الإيمان يتولى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين الصادقين ، قال تعالى { **إنما وليكم**

الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ❋ ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون } [المائدة : ٥٥-٥٦] وقال سبحانه وتعالى { **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** } [التوبة : ٧١] كما أنه يعادي أعداء الله . فإذا لم يفعل المسلمون ما ورد في الكتاب والسنة من " الموالاة في الله والمعاداة في الله " ، واختلط الكفار بالمسلمين وصار بعضهم أولياء بعض ، حصلت الفتنة والفساد الكبير ، وذلك بما يحصل في القلوب من الشكوك والركون إلى الباطل وأهله ، وتعلق القلوب بالكفر والكافرين ، واشتباه الحق على عامة المسلمين الذين يرون صرف الولاء والنصرة للكافرين من قبل بعض قادة البلاد الإسلامية ، وربما صدرت فتاوى الاستعانة بالأعداء والسماح لجيوشهم في بلاد المسلمين من بعض العلماء . وكذلك يقع الخلط واللبس عند عامة المسلمين الذين يرون بعض الساسة والحكام يتخذون بطانة لهم من الحاقدين على الإسلام .

نعم ، التبست الأمور على كثير من المسلمين في هذه الأيام حتى صار كثير منهم لا يميز بين الحق والباطل ، ولا بين الهدى والضلال ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فحصل بذلك الفساد وأضرار لا يعلم نتائجها إلا الله تعالى.

نتائج وبيان

● إن ما يحدث في عدد من البلاد العربية من تودد للأمريكان والبريطانيين والصهاينة ، والسماح لآلاتهم الحربية بالانطلاق من أراضي ومياه البلاد الإسلامية لتدمير العراق وإرهاب المسلمين ، هو مولاة محرمة بمقياس الشرع - ولوتذرع المتذرعون - وهذه الموالاة معصية لله تعالى وللرسول ﷺ - يجب العمل على إنهائها في أسرع وقت ممكن ، وعلى العلماء المخلصين إعلان ذلك والمطالبة بإنهاء هذا الاستعمار ، ونذكر كل من يقبل بهذا الوجود أن هذه المعصية قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر إذا توفرت شروط وانتفت موانع . كما نلفت نظر الشباب الغيور على دينه إلى البعد عن التسرع في الحكم على معين بالكفر ، وضرورة مراجعة ما قاله العلماء عند تفسير قول الله تعالى { **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** } [الممتحنة : ١] وما أخرجه الشيخان وغيرهما عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال : " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ - موضع بين مكة والمدينة - فإن بها ظعينة

- أي امرأة في هودج - معها كتاب فخذوه منها فأتوني به " . فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها - أي : شعرها - فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال : " ما هذا يا حاطب ؟ " قال لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت امرءاً مُلصقاً في قريش ولم أكن من أنْفَسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن اتخذ يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر ، فقال النبي ﷺ " صدق ، لا تقولوا له إلا خيراً " فقال عمر : دعني يارسول الله فأضرب عنقه . فقال ﷺ : " إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم " فدمعت عينا عمر رضي الله تعالى عنه .

فتحصل من ذلك أن موالاة الكافرين إثم عظيم قد يصل بصاحبه إلى الكفر المخرج من الملة ، إذا كان حباً للكفر ونصرة للكافرين لينتصر الكفر على الإسلام .

● تنحية شريعة الإسلام عن الحكم وإحلال القوانين الوضعية - ويدخل فيها قرارات " الشرعية الدولية " الظالمة ، محل الشريعة الإسلامية هو صرف الولاء للطاغوت - ولو زعم الزاعمون أن ذلك ضرورة عصرية وتقدم حضاري وعدم تعصب ، وما هذه القوانين إلا أوثان عُبِّدت الشعوب لها ، فإلى متى تُعبد هذه الأوثان والله تعالى يقول : { **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** } [الأعراف : ٣] ويقول عزّ وجل { **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** } .

نعم إن سماحة الإسلام شيء وصرف الولاء لمن اغتصب الأرض ومن يدعم العدو المغتصب شيء آخر ، وصرف الولاء لمن يقصف بلاد المسلمين ويحاصر شعوبها للفتك بالأطفال والضعفاء والمرضى ، وإذلال الرجال والنساء لا يقبل به عاقل فضلاً عن مسلم صادق الإيمان ، فالمسلم مطالب بالعدل والإحسان وعدم الاعتداء ، وفي الوقت ذاته منهي عن نصرة الكفر والكافرين ، وتلك حقيقة مطلقة لا علاقة لها بالمكان والزمان . فهل يمكن إدراك هذه الحقائق التي وردت بها نصوص محكمة ؟!

● وُجدت في بلاد المسلمين منذ عقود دعوات طاغوتية متنفذة ، عمدت إلى تعبيد الشعوب لعصبيات

وطنية وقومية ، والتمكين لأنظمة حكم استبدادية سعت إلى إفساد التعليم وقضت على المحاضن التربوية ، ووجهت وسائل الإعلام لخدمة الطاغوت والاستبداد باسم الحداثة والعولمة.. فحجرت على العقول ، ومنعت حرية الفكر والرأي والاجتهاد ، وكرست أسباب التقليد والتبعية .. ولم يقتصر الأمر على الأنظمة الحاكمة فقط ، وإنما انتقل إلى الأحزاب والجماعات والحركات وروابط العلماء ، التي كان الأمل في وجودها وكان المرجو أن تساعد الشعوب في الخروج من هذا المستنقع الذي وضعتها الأنظمة الحاكمة فيه ، فإذا ببعض الأحزاب والحركات والروابط تساعد على استمرار الاستبداد حتى أن بعض الحركات الإسلامية لم تسلم من أعمال التضييق التي تصل إلى حد الإقصاء لكل اجتهاد مخالف ، وتمنع أتباعها من قراءة كتب المخالفين أو الاستماع إلى علماء مخالفين ، وأشرطة علم الاجتهاد المخالف ..

نعم ، نشأ في عصور الملك العضوض والحكم الجبري فقه علماء السلطان ، الذي أوجد في تراثنا الفقهي صلاحيات قمعية عطلت الشورى ، وحالت دون ظهور من يطالب الحاكم بالرجوع عن الخطأ ، أي يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، بذريعة "لا يجوز إعلان ذلك على المنابر أو كتابته في مذكرات وكتب "

لن تعود للأمة الإسلامية مكانتها ، ولن تعود للشعوب كرامتها ، ولن يتحقق لها ما وعدها ربها من الرفعة والتمكين في الدنيا والارتقاء في الآخرة إلا إذا تصحح فهم " الموالاة في الله والمعاداة في الله" وتجسد ذلك في علاقات المسلمين بعضهم مع بعض ، وفيما بينهم وبين غير المسلمين ، فالمسلمون فيما بينهم كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضهم بعضاً متناصرين متعاونين متناصحين ، وهم يد على من سواهم بالعدل .